



حديث القرآن الكريم عن الاستخلاف في الأرض "دراسة موضوعية"

تأليف
الأستاذ الدكتور
حسين محمد إبراهيم بدوية
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر فرع الزقازيق



حديث القرآن الكريم عن الاستخلاف في الأرض

"دراسة موضوعية"

تأليف

أ.د/حسين محمد إبراهيم بدوية

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر فرع الزقازيق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم إليه من الإيمان والتمتع إحسانه بما أقام لهم من جلي البرهان الذي حمد نفسه بما أنزل من القرآن، سبحانه أنزل كتابه المجيد على أحسن أسلوب وبهر بحسن أساليبه وبلاغة تركيبه القلوب، نزله آيات بينات وفصله سورا وآيات ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب ونظمه أعظم نظام بأفصح لفظ وأبلغ تركيب صلى الله على من أنزل إليه لينذر به ونكرى، ونزله على قلبه الشريف فنفى عنه الحرج وشرح له صدرا، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

فإن من أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه وأولى ما يلزم بحثه تقريب ما صار بعيدا، وإيناس ما أصبح غريبا، وتزويد المسلم بزاد من التفسير الموضوعي متفاعل مع الحياة المعاصرة، ومتجاوب مع القناعة الذاتية، والأصول العقلية، والمرتكزات الفكرية السليمة، ألا وهو موضوع (حديث القرآن الكريم عن الاستخلاف في الأرض) إذ لا يمكن فهم حقيقة الاستخلاف بعيدا عن القرآن الكريم،، لذا أردت أن أذكر بالأسس والقواعد والشروط التي من خلالها يصبح الإنسان خليفة في الأرض يرضى ربه أولا، ويسعد قومه

بتطبيق شرع الله وإقامة العدل بينهم ثانياً. وليتحقق وعد الله بالاستخلاف في الأرض رغم كل المعوقات التي تبدو للوهلة الأولى أنها قد توقفه أو تعيقه، وذلك أن الوعد صادر عن من قال عن نفسه: "إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ". (آل عمران: من الآية ٤٧).

أسباب اختيار الموضوع:

- ١ - أن هذا الموضوع بهذا التناول ما زال بكرةً - فيما أعلم - إذ إنني لم أظفر على دراسة تناولته من قبل.
 - ٢ - ارتباط الموضوع بكتاب الله تعالى، وهو أعظم ما يفني الإنسان عمره فيه.
 - ٣ - بعد الناس عن كتاب الله عز وجل في قضية الاستخلاف في الأرض.
 - ٤ - إهمال الناس القواعد والأسس التي من خلالها يتحقق الاستخلاف في الأرض.
 - ٥ - عند وقوفي على آيات الاستخلاف في الأرض وجدتها مليئة بالفوائد والأسرار، فاستخرت الله تعالى وعقدت العزم على دراستها، لما لها من عظيم الفائدة وجليل القدر.
- وقد جعلت الموضوع في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، والخطة والمنهج في البحث.
- المبحث الأول: إطلاقات الاستخلاف في اللغة والاصطلاح.
- المبحث الثاني: الاستخلاف ليس نيابة عن الله في الأرض وحكمة اقتترانه بالأرض.
- المبحث الثالث: أقسام الاستخلاف في الأرض.
- المبحث الرابع: شروط الاستخلاف

المبحث الخامس: ثمرات الاستخلاف في الأرض.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال رحلتي
مع البحث. الفهارس: وفيها فهرس المراجع والموضوعات.

منهج البحث:

ثالثا: المنهج في البحث:

الناظر للبحث يجد أنه يقوم على المنهج الاستقرائي، وسوف يكون العمل
في البحث من خلال الخطوات التالية.

- ١ - كتابة الآيات بخط المصحف الشريف، وعزوها إلى سورها.
- ٢ - أقوم بتعريف الاستخلاف من كتب اللغة والتفسير، وفي حالة اتفاق العلماء
على أى من مصطلحات الاستخلاف، وما يتعلق به نقلت من أحدهم وأحلت إلى
الآخرين تجنباً للتكرار ما دام المعنى واحداً.
- ٣ - أعلق على ما نقلت بأسلوب سهل وميسر حتى يسهل على القارئ فهمه.
- ٤ - سأوجز الحديث عن الاستخلاف بقدر الإمكان.
- ٥ - أقوم بربط المباحث ببعضها حتى يكون الموضوع وحدة متكاملة.
- ٦ - أرجع لما تيسر من كتب التفسير بين القدماء والمحدثين.
- ٧ - أقوم بتوثيق الأقوال من مصادرها.
- ٨ - لم أترجم للأعلام خشية التطويل.
- ٩ - ضبط الهوامش، إذا كان المنقول نصاً أذكر المصدر مباشرة، وإذا كان
باختصار أو بإيجاز أشير إلى ذلك بالقول انظر.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

د / حسين محمد إبراهيم بدوية

المبحث الأول

الاستخلاف في اللغة والاصطلاح

تمهيد

أهمية الاستخلاف في الأرض

إذا نظرنا إلى الاستخلاف في الأرض لوجدنا أنه يشكل الوجود البشري على وجه الأرض، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ {البقرة ٣٠}) إذا نظرنا إلى هذه الآية نجد أن المولى عز وجل زود الإنسان بما يضمن له القيام بالاستخلاف في الأرض وأعطاه العلم الذي فضله به على كثير من المخلوقات حيث علم الأسماء لأدم عليه السلام دون غيره من المخلوقات ليدل ذلك على أن الإنسان هو المستخلف في الأرض، لذا قدم الله العلم بالنسبة للإنسان على الملائكة في الآية الكريمة، ليكونوا مستخلفين في الأرض ويكونوا حلقة وصل بين الحق تبارك وتعالى المستخلف والإنسان المستخلف، فالاستخلاف تشريف من الله عز وجل للجنس البشري دون غيره من المخلوقات وذلك لتكريم المولى عز وجل على غيره بسائر أنواع التكريم قالتعالى (وَإِذْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا {الإسراء ٧٠})

من خلال ما سبق يتبين لنا أهمية الاستخلاف في الأرض وبعد هذه الإشارة السريعة على أهمية الاستخلاف نعرفه في اللغة والاصطلاح فنقول وبالله التوفيق.

تعريف الاستخلاف في اللغة والاصطلاح

أولا تعريف الاستخلاف في اللغة:

أصل الاستخلاف في اللغة من مادة (خ ل ف) وكلها تدور حول ثلاثة معان: النيابة أو الوكالة، والاستبدال، وخلاف قدام.

يقول أبو هلال العسكري: فالخليفة من استخلف في الأمر مكان من كان قبله، فهو مأخوذ من أنه خلف غيره، وقام مقامه. (١)

ويقول الزبيدي: خ ل ف (خ ل ف)، كما في المُخَمِّم، والصَّحَّاح، والعُبَاب، أو الخَلْفُ باللام، كما هو نصُّ اللَّيْثِ: نَقِيضُ قَدَامٍ، مُؤَنَّنَةٌ، تَكُونُ اسْمًا وَظَرْقًا. الخَلْفُ: القَرْنُ بَعْدَ القَرْنِ، ومنه قولُهُم: هُوَ لاءِ خَلْفُ سُوءٍ. (٢)

ويقول أبو بكر الرازي: خ ل ف خلف ضد قدام والخلف أيضا القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس أكثر منهم والخلف أيضا الرديء من القول يقال سكت ألفا ونطق خلفا أي سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطأ والخلف أيضا الاستقاء والخلف أيضا ساكن اللام ومفتوحها ما جاء من بعد يقال هو خلف سوء من أبيه وخلف صدق من أبيه بالتحريك إذا قام مقامه" (٣)

(١) انظر الفروق اللغوية أبو هلال العسكري ص ٢٢٢/١.

(٢). تاج العروس من جواهر القاموس تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين ط دار الهداية مادة خلف ٢٤٠/٢٣

(٣) مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدا لقادر الرازي، ت ٧٢١ تحقيق محمود خاطر، ط مكتبة لبنان ١٤١٥ - ١٩٩٥ مكان النشر بيروت مادة خلف ٧٨/١

ويقول الفيومي: "خَلَفْتُ" فلانا على أهله وماله "خِلَافَةً": صرت "خَلِيفَةً"، و"خَلَفْتُهُ" جئت بعده، و"الخِلْفَةُ" بالكسر اسم منه كالقعدة لهيئة القعود، و"استَخَلَفْتُهُ" جعلته خليفة، "فَخَلِيفَةٌ" يكون بمعنى فاعل وبمعنى مفعول، وأما "الخَلِيفَةُ" بمعنى السلطان الأعظم، فيجوز أن يكون فاعلا؛ لأنه "خَلَفَ" من قبله أي جاء بعده ويجوز أن يكون مفعولا؛ لأن الله تعالى جعله "خَلِيفَةً" أو لأنه جاء به بعد غيره كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} (١)

ويقول ابن سيده: "خَلَفَ فلان مكانَ أبيه، يَخْلَفُ خِلَافَةً، إذا كان في مكانه ولم يَصِرْ فيه غيرُهُ. وخَلَفَهُ رَبُّهُ في أهله وولده أحسنَ الخِلَافَةِ. وخَلَفَهُ في أهله وولده يخلفه خِلَافَةً: كان خَلِيفَةً عليهم، يكون ذلك في الخير والشر. " (٢)

من خلال ما سبق يتضح أن المراد بالاستخلاف في اللغة: أن يخلف شخص شخصاً آخر، أو يأتي مكانه نيابة أو خلفاً له وهذا المراد في البحث — أو يأتي بمعنى التغيير، أو خلاف قدام.

وأشار ابن فارس إلى ما سبق فيقول: " (خلف) الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغيير. (٣)

(١) المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية مادة خلف ٩٥/١

(٢) المحكم والمحيط الأعظم تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ٤٥٨هـ

تحقيق عبد الحميد هنداوي ط دار الكتب العلمية سنة النشر ٢٠٠٠م بيروت مادة خلف

١٩٨/٥ وانظر المعجم الوسيط — تأليف / إبراهيم مصطفى — أحمد الزيات — حامد عبد

القادر — محمد النجار ط: دار الدعوة تحقيق / مجمع اللغة العربية ٢٥١/١

(٣) معجم مقاييس اللغة تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق: عبد السلام

محمد هارون ط: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. مادة خلف ٢١٠/٢ وانظر

الاستخلاف في الاصطلاح:

إذا نظرنا إلى الاستخلاف في الاصطلاح لوجدنا أنه يدل على عدة معان منها:
مجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه منه الخلف العوض عن شيء فائت.
يقول ابن عاشور: "الاستخلاف: جعل الخلف عن الشيء، والخلف:
العوض عن شيء فائت" (١)

وقال أيضا من معاني الاستخلاف في الأرض: "جعلهم خلفاء، أي عن
الله في تدبير شؤون عباده كما قال: إني جاعل في الأرض خليفة" (٢)
ويقول ابو حيان: "الخليفة اسم لكل من انتقل إليه تدبير أهل الأرض
والنظر في مصالحهم، وفي المستخلف فيه آدم قولان: أحدهما: الحكم بالحق
والعدل. الثاني: عمارة الأرض، يزرع ويحصد ويبني ويجري الأنهار." (٣)

=مادة خلف تاج اللغة وصحاح العربية تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد
عبد الغفور عطار ط: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
١٣٥٧/٤

(١) التحرير والتتوير - الطبعة التونسية تأليف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار
سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م ٨/٨٧

(٢) التحرير والتتوير ٢٨٥/١٨

(٣) تفسير البحر المحيط - تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ط: دار
الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ
عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق (١) د. زكريا
عبد المجيد النوقي د. أحمد النجولي الجمل ٥٦٥/١ وانظر الكشف عن حقائق التنزيل
وعيون الأفاويل في وجوه التأويل تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري
الخوارزمي ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي ١١٦/١

ويقول الشيخ طنطاوي: " أن يخلف الإنسان غيره، أو أن يخلفه غيره من بعده. " (١)

ويقول المراغي: " الاستخلاف هو " استخلاف بعض أفراد الإنسان على بعض، بأن يوحى بشرائعه على السنة أناس منهم يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه (٢) من خلال ما سبق يتضح لنا أن الاستخلاف يدور حول معنيين هما النيابة والوكالة، أى يكون عوضا عن شيء فائت سواء خلف غيره أو يخلفه غيره، أو خليفة الله فى تنظيم شئون عباده.

وقد ورد لفظ الاستخلاف فى القرآن الكريم بهذه المعانى السابقة، ست مرات، ووردت ألفاظ الخليفة، والخلفاء، والخلائف، تسع مرات، وكلها تدور حول المعانى السابقة، ومع أن عدد ورود هذا اللفظ قليل فى القرآن الكريم إلا أن هذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية، كيف لا وهو يشكل بداية الوجود الإنساني على وجه الأرض قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } البقرة ٣٠

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم تأليف: د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر) السابق، ط: دار الفجالة - بدون

(٢) تفسير المراغي تأليف: الشيخ / أحمد مصطفى المراغى، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ٧٥/١

المبحث الثاني

الاستخلاف ليس نيابة عن الله في الأرض.

إذا نظرنا إلى الخلافة في الأرض نجد أنها تدل على معنيين:

الأول: أن الإنسان خليفة لمن سبقه من ذرية آدم.

الثاني: أن الإنسان خليفة لله على وجه الكمال وذلك لإظهار العبودية له سبحانه. ويدل على ذلك قول الله عز وجل {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {الأنعام ١٦٥ أى " والله سبحانه هو الذي جعلكم تخلفون من سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، واستخلفكم فيها؛ لتعمروها بعدهم بطاعة ربكم " (١) وقال أيضاً: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} {يونس ١٤ " أى: ثم جعلناكم أيها المكلفون باتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - خلفاء في الأرض من بعد أولئك الأقبام المهلكين لنرى ونشاهد ونعلم أي عمل تعملون في خلافتكم فنجازيكم على ذلك الجزاء المناسب الذي تقتضيه حكمتنا وإرادتنا " (٢) وقال أيضاً {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا

(١) التفسير الميسر، تأليف: مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ٤٦٠

(٢) التفسير الوسيط د / طنطاوي ٢٠٨٩/١

{فاطر ٣٩ " " أي أن الله جعلكم أيها البشر خلانف في الأرض، يخلف قوم قوما آخرين قبلهم، لينتفعوا بخيرات الأرض، ويشكروا الله بالتوحيد " (١) والطاعة،

فاستخلاف الإنسان لا يكون بأى حال من الأحوال خليفة أو نيابة عن الله في الأرض، تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا ، فلم يتخذ سبحانه له ولدا ولا شريكا في الملك ولا وليا من الذل في السماء ولا في الأرض قال تعالى {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا} {الإسراء ١١١} فلا يصح بأن يقال بأن الإنسان خليفة عن الله في الأرض فقط سواء كان الإنسان مؤمنا أو كافرا، والصواب أن نقول أن الإنسان خليفة لله في الأرض تشريفا له، وإكراما، وامتحانا، واختبارا، ولذا وافق على حمل الأمانة التي وكلت إليه، وأبى حملها جميع المخلوقات، ومن هذه الأمانات الاستخلاف في الأرض قال تعالى {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} {الأحزاب ٧٢} " أي إنا عرضنا التكاليف كلها من فرائض وطاقات على هذه الأجرام العظام، فلم تطعها وأبت تحمل مسئوليتها، وخافت من حملها، لو فرض أنها ذات شعور وإدراك، ولكن كلف بها الإنسان، فتحملها مع ضعفه، وهو في ذلك ظلوم لنفسه، جهول لقدر ما تحمله.

قال ابن عباس: يعني بالأمانة الطاعة والفرائض، عرضها عليهم قبل أن تعرض على السموات والأرض والجبال، فلم يطعنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، تأليف: دوهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر - دمشق،

الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢١٣٠/٢

قال: يا رب، وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها، فذلك قوله تعالى: وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا. (١)

فاستخلاف الإنسان لم يكن عن عجز المستخلف وإنما لإظهار الامتثال بما أمره المولى عز وجل المستخلف من الأمور التعبدية والتشريعية وغير ذلك على سبيل الابتلاء والاختبار والأمانة.

يقول الكفوى: المستخلفون هم من "استخلفهم الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا حاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكاً" (٢) وبهذا يزول الإشكال.

الاستخلاف ليس عن غيبة المستخلف

ينبغي أن نفرق بين استخلاف العبد لله، واستخلاف العبد للعبد.

أولا استخلاف العبد لله عز وجل: ليس كما يتوهم البعض أنه كاستخلاف العبد للعبد، بل الاستخلاف وإن اقتضى الغياب بين الناس، إلا أن المقصود به هنا وجود عالم الغيب والشهادة سبحانه، ويبين الحق تبارك وتعالى شمولية علمه لكل شيء فيقول سبحانه {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} الرعد ٩ " أي يعلم كل شيء غائب عن العباد لا تدرکه أبصارهم، ومشاهد لهم مرئي، ولا يخفى عليه

(١) يراجع التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، تأليف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٢٦/٢٢، ١٢٧

(٢) كتاب الكليات - لأبي البقاء الكفوى معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ٦٧١/١

منه شيء، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، المتعال على كل شيء، قد أحاط بكل شيء علما، أي شمل علمه كل شيء، وقهر كل شيء، فخضعت له الرقاب، ودان له العباد طوعا وكرها. (١)

ثانيا: استخلاف الإنسان للإنسان وهو الذي يكون عن غيبة المستخلف لأن الله عز وجل جعل مدارك الإنسان محدودة فمهما بلغ علمه فعلمه محدود واستخلافه في الأرض مقيد بالخضوع والعبودية لله عز وجل قال تعالى { وَمَا أوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } الإسراء ٨٥ " أي وما أوتيتم أيها الناس من العلوم والمعارف إلا علما قليلا، محصورا بالمحسوسات والمرئيات، أما ما وراء ذلك فلا قدرة لكم عليه، ولا اطلاع لأحد على حقيقته (٢)

وبعد أن اتضح لنا أن الاستخلاف ليس نيابة عن الله، ولا عن غيبة المستخلف وهو الله سبحانه، ننقل إلى قضية أخرى ألا وهي:

حكمة اقتران الاستخلاف بالأرض

إذا نظرنا إلى الآيات التي أشارت إلى الاستخلاف في الأرض لوجدنا أن أكثرها قرن الاستخلاف بالأرض ومن هذه الآيات.

قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(١) لتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ١٢١/١٨

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي ١٣٨١/٢

وقوله تعالى: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) [ص]:

وقوله تعالى: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) [النمل]:

وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا نَبَّأَهُ كُفْرَهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) [فاطر]:

وقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥) [الأنعام: ١٦٥]

وقوله تعالى: ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤) [يونس: ٧]. {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} {النور: ٥٥}

وقوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ} {الزخرف: ٦٠}

يقول ابن عاشور على وجه ارتباط الخليفة بالأرض في القرآن الكريم أن هذا " دليل على أن جعل الخليفة كان أول الأحوال على الأرض بعد خلقها فالخليفة هنا الذي يخلف صاحب الشيء في التصرف في مملوكاته ولا يلزم أن يكون المخلوف مستقرا في المكان من قبل، فالخليفة آدم وخليفته قيامه بتنفيذ

مراد الله تعالى من تعميم الأرض بالإلهام أو بالوحي وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي، ومما يشمل هذا التصرف تصرف آدم بسن النظام لأهله على حسب وفرة عددهم واتساع تصرفاتهم، فكانت الآية من هذا الوجه إيماء إلى حاجة البشر إلى إقامة خليفة لتنفيذ الفصل بين الناس في منازلهم إذ لا يستقيم نظام يجمع البشر بدون ذلك، " (١)

من خلال ما سبق يتبين أمران:

الأمر الأول: أن الاستخلاف منوط بهذه الأرض، أي جعلت الأرض مكانا للاستخلاف وتمكن الإنسان من ذلك متوقف على حسن تدبيره لما على الأرض وما في الأرض.

الأمر الثاني: أن الاستخلاف في الأرض مرتبط بها يبدأ عليها وينتهي بانتهائها.

كما ينبغي أن نعلم أن الاستخلاف في الأرض ليس على إطلاقه لأي إنسان، وإنما حقيقة الاستخلاف أن يكون كما أراد الله عز وجل وهو قصد إصلاح الأرض وإعمارها لا بقصد الإفساد فيها وتخريبها، ولذلك شاعت الأقدار الإلهية أن من استخلفه الله في الأرض فأفسد فيها وقام بالتخريب عليها أتى بمن يستخلفه ويصلح ما أفسده وخربه وهذا وعد الله للمؤمنين قائلته {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} {الأنبياء ١٠٥} وهذا ما بينه الحق تبارك وتعالى في قصص السابقين، وخاصة قصص الأنبياء مع أقوامهم منها:

(١) التحرير والتنوير ٣٩٩/١

قوله تعالى: . يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) [ص: ٢٦]

" أي يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملكناك فيها، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيضلك ذلك عن دين الله وشرعه، (١)

وقال تعالى أيضا: وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) [الأعراف: ٧٤]

" أي وتذكروا إذ جعلكم الله تعالى خلفاء لعاد في الحضارة والعمران والقوة والبأس وبوأكم في الأرض، أي أنزلكم فيها وجعلها مباءة ومنازل لكم: تتخذون من سهولها قصورا زاهية، ودورا عالية، بما حذقتم بإلهامه تعالى من فنون الصناعة كضرب الآجر واللبن والجص وهندسة البناء ودقة النجارة" (٢)

وقال تعالى أيضا: قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (١٣٠)

(١) التفسير الميسر ١٨٢/٨

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) تأليف: محمد رشيد بن علي رضا (ت:

١٣٥٤هـ)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م ٤٨٤/٨

من خلال هذه الآيات يتبين لنا أن أهم خطر يهدد حياة الإنسان في الأرض التي استخلفه الله عليها هو الفساد، مما يجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، من أجل هذا ساق المولى عز وجل لنا هذا القصص ليتعظ المستخلف ويعتبر، وأن يعلم أن الخلافة في الأرض مهما طالَّت أصلح فيها أو أفسد فهي إلى زوال، من أجل ذلك ينبغي عليه أن يعمل بمقتضيات هذا الاستخلاف ولا يعث في الأرض فساداً، وينبغي عليه أن يعلم تمام العلم أن الله جعل الخلافة في عنقه أمانة يجب أن يحافظ عليها، وأن يضع كل شيء في موضعه، وأن من يستخلفهم بعده إما حامدين له داعين له بالخير، أو ذامين له داعين عليه بالشر، ولنا في سلفنا الصالح الذين سبقونا بالإيمان والأنبياء السابقين القدوة والأسوة الحسنة، حيث قاموا بالاستخلاف خير قيام، ابتغاء مرضاة وجه الله، فأدوا المهمة التي وكلت إليهم على الوجه الأكمل وضرب بهم المثل في كل زمان ومكان، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

المبحث الثالث

أقسام الاستخلاف في الأرض

بعد أن ألقينا الضوء على أهمية الاستخلاف وتعريفه، يجدر بنا أن نوضح أقسام الاستخلاف فنقول وبالله التوفيق.

ينقسم الاستخلاف في الأرض إلى قسمين، استخلاف خاص، واستخلاف عام.

أولا الاستخلاف الخاص: وهو استخلاف فرد معين، وهذا القسم كما ذكر العلماء بأنه خاص بالأنبياء، بدأ بآدم عليه السلام وانتهى بوفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه آخر الأنبياء وخاتم المرسلين، ويشير إلى هذا القسم قول الله عز وجل (.: يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) [ص: ٢٦]

"يخاطب الله تعالى داود عليه السلام بأنه استخلفه حاكما بين الناس في الأرض، فله السلطة والحكم، وعليهم السمع والطاعة." (١)

ويقول ابن عاشور: " والخليفة: الذي يخلف غيره في عمل، أي يقوم مقامه فيه، فإن كان مع وجود المخلوف عنه قيل: هو خليفة فلان، وإن كان بعد ما مضى المخلوف قيل: هو خليفة من فلان. والمراد هنا: المعنى الأول بقريظة قوله: فاحكم بين الناس بالحق.

فالمعنى: أنه خليفة الله في إنفاذ شرائعه للأمة المجعول لها خليفة مما يوحي به إليه، ومما سبق من الشريعة التي أوحى إليه العمل بها. وخليفة عن موسى عليه

(١) التفسير المنير ١٨٧/٢٣

والسلام وعن أحبار بني إسرائيل الأولين المدعويين بالقضاة، أو خليفة عمّن تقدمه في الملك.

والأرض: أرض مملكته المعهودة، أي جعلناك خليفة في أرض إسرائيل. قال ابن عطية: ولا يقال خليفة الله إلا لرسوله صلى الله عليه وسلم وأما الخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله،^(١)

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (فالخليفة هنا الذي يخلف صاحب الشيء في التصرف في مملوكاته ولا يلزم أن يكون المخلوف مستقرا في المكان من قبل، فالخليفة آدم وخلفيته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض بالإلهام أو بالوحي وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي، ومما يشمله هذا التصرف تصرف آدم بسن النظام لأهله وأهاليهم على حسب وفرة عددهم واتساع تصرفاتهم، فكانت الآية من هذا الوجه إيحاء إلى حاجة البشر إلى إقامة خليفة لتنفيذ الفصل بين الناس في منازلهم إذ لا يستقيم نظام يجمع البشر بدون ذلك، وقد بعث الله الرسل وبين الشرائع فربما اجتمعت الرسالة والخلافة وربما انفصلتا بحسب ما أراد الله من شرائعه إلى أن جاء الإسلام فجمع الرسالة والخلافة لأن دين الإسلام غاية مراد الله تعالى من الشرائع وهو الشريعة الخاتمة ولأن امتزاج الدين والملك هو أكمل مظاهر الخطتين قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) النساء ٦٤- (٢)

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤٣/٢٣ باختصار

(٢) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤٣/٢٣ باختصار

القسم الثاني الاستخلاف العام: وهو المشار إليه في قوله. (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)
قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) [البقرة: ٣٠ - ٣٣]

يقول الزحيلي " انكر يا محمد لقومك قصة خلق أبيهم آدم، حين قال الله
للملائكة: إني متخذ في الأرض خليفة، يقوم بعمارتها وسكنائها، وينفذ أحكامي
فيها بين الناس، وتتعاقب الأجيال من بعده في مهامه كلها حتى يعمر الكون،
فتسأل الملائكة متعجبين ومستعلمين: كيف تستخلف هذا الخليفة؟ وفي ذريته من
يفسد في الأرض بالمعاصي ويريق الدماء بالبغي والعدوان، لأن أفعالهم عن
إرادة واختيار، وقد خلقوا من طين، والمادة جزء منهم، ومن كان كذلك فهو إلى
الخطأ أقرب. فكيف تجعل - على سبيل التعجب والتعلم، لا الاعتراض والحسد -
مكان أهل الطاعة أهل المعصية، وأنت الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير، ولا يريد
إلا الخير؟ فإن قلت: من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه، وإنما هو غيب؟ قلت:
عرفوه بإخبار من الله، أو من جهة اللوح المحفوظ، أو ثبت في علمهم أن
الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون، وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم، أو
قاسوا أحد الثقلين وهم الإنس على الآخر وهم الجن، حيث أسكنوا الأرض،
فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة «١». أو أنهم عرفوا طبيعة المادة وفيها الخير
والشر، وهو ما رجحناه أولاً، ويقال: كان هناك نوع من الخلق في الأرض قبل
آدم، أفسد وسفك الدماء، وسيحل هذا الخليفة محله، بدليل قوله تعالى: ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ [يونس ١٠ / ١٤] فقاس الملائكة هذا الخليفة عليه.

ونحن الملائكة أولى بالاستخلاف، لأن أعمالنا مقصورة على تسبيحك وتقديسك وطاعتك، فأجابهم الله تعالى: إني أعلم من المصلحة في استخلافه ما هو خفي عنكم، وأعلم كيف تصلح الأرض، وكيف تعمر، ومن هو أصلح لعمارته، ولي حكمة في خلق الخليقة لا تعلمونها. ولعل التنافس على المصالح بين الناس وتنازع البقاء، وحب الذات من أقوى الدواعي على تقدم الكون وتحضر العالم، فبالخير والشر تصلح الدنيا وتعمر، وبها تظهر حكمة إرسال الرسل، واختبار البشر، وجهاد النفس. وفي هذا إرشاد الملائكة أن يعلموا أن أفعاله تعالى في غاية الحكمة والكمال.^(١)

ويقول الشنقيطي: "الآية في قوله: {خليفة} وجهان من التفسير للعلماء:

أحدهما: أن المراد بالخليفة أبونا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ لأنه خليفة الله في أرضه في تنفيذ أوامره. وقيل: لأنه صار خلفا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبله، وعليه فالخليفة: فعيلة بمعنى فاعل. وقيل: لأنه إذا مات يخلفه من بعده، وعليه فهو من فعيلة بمعنى مفعول. وكون الخليفة هو آدم هو الظاهر المتبادر من سياق الآية.

الثاني: أن قوله: {خليفة} مفرد أريد به الجمع، أي خلافت، وهو اختيار ابن كثير. والمفرد إن كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مرادا به الجمع.

وإذا كانت هذه الآية الكريمة تحتمل الوجهين المذكورين. فاعلم أنه قد دلت آيات أخر على الوجه الثاني، وهو أن المراد بالخليفة: الخلائف من آدم وبنيه لا آدم^(٢)

(١) التفسير المنير ١/١٢٧، ١٢٦، ١٢٥ باختصار

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م - ٢٠/١

ويقول ابن كثير " {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} قال: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} وقال: {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ} وقال: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} ^(١)

فمن خلال ما سبق يتضح لنا أن المراد بالاستخلاف في الآية الكريمة آدم وذريته على قول أكثر المفسرين، وهذا ما يعرف بالاستخلاف في الأرض العام، أقول ولا مانع من أن الآية تدل على الاستخلاف الخاص، والاستخلاف العام، فإذا أردنا أن نفسر الآية بالاستخلاف الخاص يكون المراد بالخليفة في الآية الكريمة آدم عليه السلام والأنبياء من بعده، وخاتمهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا فسرت بالاستخلاف العام يكون المراد بالخليفة ذرية آدم عليه السلام ويؤيد ذلك ما جاء في بعض الآيات منها قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} قال: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} وقال: {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ} وقال: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} ^(٢) أي يخلف بعضهم بعضاً في أرضه يملكون مقاليد التصرف فيها.

يقول ابن عجيبة: " أي: جعلكم خلفاء عنه في التصرف في الأرض، أي قد ملككم مقاليد التصرف فيها، وسلطكم على ما فيها، وأباح لكم منافعها؛ لتشكروه بالتوحيد والطاعة." ^(٣) وإلى هذا المعنى سار جميع المفسرين

(١) تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ) المحقق: محمود حسن، ط: دار الفكر الطبعة: الطبعة الجديدة

٩٠/١م ١٩٩٤هـ/ ١٤١٤هـ

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٩٠/١

(٣) البحر المديد — تأليف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ط / دار الكتب العلمية — بيروت الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م —

ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا النوع في الحديث الذي رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي مسلمة قال سمعتُ أبا نصرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلَفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ ». وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ « لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » (١).

فهذا الحديث يشير إلى الاستخلاف العام في الأرض، وهو الذي لا ينفرد به أي فرد أو فئة كما اتضح سابقاً.

هذا ولقد قسم العلماء هذا القسم إلى ثلاثة أنواع: استخلاف تكويني - استخلاف تكليفي - استخلاف اجتماعي (

النوع الأول الاستخلاف التكويني: ويكون هذا النوع بإظهار الخضوع والعبودية لله رب العالمين، وذلك لا يتأتى إلا بالإيمان والعمل الصالح والقيام بسائر أنواع الطاعات، ويشير إلى هذا النوع قول الله عز وجل {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} {النور ٥٥

= ١٤٢٣هـ - ١٢٨/١ وانظر لجامع لأحكام القرآن تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) المحقق: هشام سمير البخاري، ط: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ٣٥٥/١٤

(١) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تأليف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت ٨/٨٩

يقول الشنقيطي: " أي: " ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأمة: ليجعلهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، والآيات تدل على أن طاعة الله بالإيمان به، والعلم الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة؛ كقوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ} [الأنفال: ٢٦]، وقوله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: ٤٠-٤١]، وقوله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧]، إلى غير ذلك من الآيات. (١)

ويقول القاضي ابن عجيبة: " أي: كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر من أي طائفة كان، وفي أي وقت وجد، لا من آمن من المنافقين فقط، ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة، بحسب ظهور الوعد الكريم. و (من): للبيان. وقيل: للتبويض، ويراد المهاجرون فقط. {وَعَمَلُوا} مع الإيمان الأعمال {الصالحات}، وتوسيط المجرور بين المعطوفين؛ لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استتباع الآثار والأحكام، والإيدان بكونه أول ما يطلب منهم، وأهم ما يجب عليهم... ليجعلهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالिकهم، كما استخلف الذين من قبلهم؛ كبنى إسرائيل، استخلفهم الله في مصر والشام، بعد إهلاك فرعون والجبابرة، ومن قبلهم من الأمم المؤمنة التي استخلفهم الله في أرض من أهلته الله بكفره. كما قال تعالى: {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ} [إبراهيم: ١٣]. (٢)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٥٥٣

(٢) البحر المديد ٥/١٤٤، ١٤٥ باختصار

يَتَّبِينُ مَا سَبَقَ يَتَّبِينُ أَنْ وَعَدَ اللهُ بِالِاسْتِخْلَافِ وَالتَّمَكِينِ فِي الأَرْضِ لَا
يَكُونُ إِلا مَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا. وَهَذَا يَعْرِفُ بِالِاسْتِخْلَافِ التَّكْوِينِي.

النوع الثاني الاستخلاف التكليفي: وهو تكليف الله عز وجل للإنسان من حيث
إنه إنسان إمكانية تحقيق الاستخلاف في الأرض، وهياً له ذلك قال تعالى: (هُوَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفًا فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا (٣٩) [فاطر: ٣٩، ٤٠]

وقال أيضا: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفًا فِي الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)
[الأنعام: ١٦٥]

"أي إن الله هو الذي جعلكم يخلف قوم قوما آخرين قبلهم، خلفا بعد خلف، وجيلًا
بعد جيل، لتتنفعوا بخيرات الأرض، وتشكروا الله بالتوحيد والطاعة" (١)

ويقول البغوي: "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض { أي: يخلف بعضهم
بعضًا، وقيل: جعلكم أمة خلفت من قبلها. ورأت فيمن قبلها، ما ينبغي أن تعتبر
به" (٢)

ويقول المراغي "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفًا فِي الأَرْضِ" أي هو الذي ألقى
إليكم مقاليد التصرف والانتفاع بما في الأرض لتشكروه بالتوحيد والطاعة. (٣)

(١) تفسير المنير للزحيلي ٢٧٤/٢٢

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تأليف: محيي السنة، أبو محمد الحسين
بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية
- سليمان مسلم الحرش ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ -
١٩٩٧ م ٢٥/٦

(٣) تفسير المراغي، تأليف: الشيخ / أحمد مصطفى المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٨٨/١

وهذا يعد تكليف من الله للإنسان ويشمل هذا النوع الاستخلاف الاقتصادي، والاستخلاف السياسي. ويكون ذلك بإسناد الملكية والحاكمية لله تعالى، واستخلاف الجماعة في إظهار ملكيته وحاكميته تعالى بالانتفاع والتصرف على الوجه الذي حدده لهما الحق تبارك وتعالى.

النوع الثالث: الاستخلاف الاجتماعي وهو ما أشار إليه الحق تبارك وتعالى في الحوار الذي دار بين موسى وقومه في قوله. (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ (١٣٠) "فهذا رجاء من نبي الله موسى عليه السلام ومثله من الأنبياء يقوي قلوب أتباعهم فيصبرون إلى وقوع متعلق الرجاء ولا تنافي بين هذا الرجاء وبين قوله {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} من حيث إن الرجاء غير مقطوع بحصول متعلقة والأخبار بأن العاقبة للمتقين واقع لا محالة لأن العاقبة إن كانت في الآخرة فظاهر جداً عدم التنافي وإن كانت في الدنيا فليس فيها تصريح بعاقبة هؤلاء القوم المخصوصين فسلك موسى طريق الأدب مع الله وساق الكلام مساق الرجاء، وقال التبريزي يحتمل أن يكون قد أوحى بذلك إلى موسى فعسى للتحقيق أو لم يوح فيكون على الترجي منه، قال الزمخشري: تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر^(١)، وقال ابن عطية واستعطاف موسى لهم بقوله {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ} ووعده لهم بالاستخلاف في الأرض يدل على أنه يستدعي نفوساً نافرة ويقوي هذا الظن في جهة بني

(١) تفسير الزمخشري ٢/٢٣٥

إسرائيل وسلوكهم هذا السبيل في غير قصة^(١) والأرض هنا أرض مصر قاله ابن عباس وقد حقق الله هذا الرجاء بوقوع متعلقة فأغرق فرعون وملكه بمصر ومات داود وسليمان، وقيل: أرض الشام فقد فتحوا بيت المقدس مع يوشع وملكوا الشام ومات داود وسليمان ومعنى {فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} أي في استخلافكم من الإصلاح والإفساد وهي جملة تجري مجرى البعث والتحريض على طاعة الله تعالى عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلَفُكُمْ فِيهَا فَتَنْظُرُوا كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَانْقُوا الدُّنْيَا وَفِتْنَةَ النَّسَاءِ»^(٢)، وقال الزمخشري: فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم انتهى، وفيه تلويح الاعتزال ودخل عمرو بن عبيد وهو أحد كبار المعتزلة وزهادهم على المنصور ثاني خلفاء بني العباس قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقراً عمرو هذه الآية، ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي {فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}^(٣)

وورد في سبب نزول قوله " {قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض} وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بنا أهل البيت يفتح ويختم فلا بد أن تقع دولة لبني هاشم فانظروا

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ط: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م الطبعة: الأولى تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ٥٠٩/٢

(٢) السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ط: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة: الأولى

١٣٤٤هـ - ٣٦٩/٣ ح

(٣) تفسير الزمخشري ١٣٥/٢

فيمَن تكونوا من بني هاشم وفيهم نزلت { عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون } (١)

ويقول ابن عجيبة: " {قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض}، تصريحًا بما كُنِيَ عنه أولاً، لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك، ولعله أتى بحرف الطمع، أي: الترجي؛ لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم، أو أولادهم، وقد رُوِيَ أن مصر إنما فتح لهم في زمن داود عليه السلام، قاله البيضاوي. {فينظر كيف تعملون} أي: فإذا استخلفكم يرى ما تعملون من شكر أو كفران، أو طاعة أو عصيان، فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم من كفر أو إحسان." (٢)

من خلال ما سبق يتضح لنا الاستخلاف الاجتماعي وهو أن يعقب قوم قوما للاستخلاف في الأرض ويجازى كل بعمله، حسنه وقبيحه، وشكر النعمة وكفرانها يقول الشيخ رشيد رضا: "قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون أي: قال موسى عليه السلام: إن المرجو من فضل ربكم أن يهلك عدوكم الذي سخركم وأذاكم بظلمه، ويجعلكم خلفاء في الأرض التي وعدكم إياها، ويمنعكم فرعون من الخروج إليها، فينظر سبحانه كيف تعملون بعد استخلافه إياكم فيها؛ هل تشكرون النعمة أم تكفرون؟ وهل تصلحون في الأرض أم تفسدون؟ ليجازيكم في الدنيا والآخرة بما تعملون.

(١) الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ت ٩١١ ط ١٩٩٣، بيروت، ٥١٧/٣ وانظر تفسير ابن أبي حاتم تأليف: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط: المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب

١٥٤١/٥

(٢) البحر المديد ٣٨٣/٢

وقد عبر بـ " عسى " ولم يقطع بالوعد لئلا يتكلموا ويتركوا ما يجب من العمل، أو لئلا يكذبوه لضعف أنفسهم بما طال عليهم من الذل والاستخذاء لفرعون وقومه، واستعظامهم لملكه وقوته، وفي التوراة ما يؤيد هذا وما قبله. (١)

" ويضم هذا الاستخلاف الاستخلاف داخل الأسرة: كقوله تعالى {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا} (سورة الروم) وداخل العشيرة: {وأندر عشيرتك الأقربين} وداخل القبيلة والشعب {وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا} (سورة الحجرات). " (٢)

ويشير النبي صلى الله عليه وسلم في كلمات جامعة إلى هذه الأنواع السابقة في الحديث لبيد رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلُّكم راع وكلُّكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته قال وحسبت أن قد قال والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلُّكم راع ومسئول عن رعيته (٣)

(١) تفسير المنار ٧٣/٩

(٢) الاستخلاف مفهومه وشروطه وثمراته، بقلم: جريدة المحاجة، السبت، ١٤ أغسطس، ٢٠١٠ | كلمات مفتاحية: استخلاف | منشور في العدد ٣٣٩ |

(٣) صحيح البخاري الكتاب: الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو

عبدا لله البخاري الجعفي، ط: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ -

١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة

دمشق، والحديث كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ح ٨٥٣ / ١ / ٣٠٤

المبحث الرابع

شروط الاستخلاف في الأرض

لقد ذكر القرآن الكريم شروط الاستخلاف في قوله (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {النور ٥٥

سبب نزول الآية: " رَوَى الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ بَعْدَمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ خَائِفًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِالهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانُوا بِهَا خَائِفِينَ، يُصْبِحُونَ فِي السَّلَاحِ وَيُمْسُونَ فِي السَّلَاحِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمَ نَأْمَنُ فِيهِ وَنَضَعُ فِيهِ السَّلَاحَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَنْ تَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًا لَيْسَتْ فِيهِمْ حَدِيدَةٌ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَوَضَعُوا السَّلَاحَ وَأَمِنُوا ثُمَّ قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ فَكَانُوا آمِنِينَ كَذَلِكَ فِي إِمَارَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى وَقَعُوا فِيهِ وَكَفَرُوا النُّعْمَةَ، فَأَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ وَغَيَّرُوا، فَغَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بِهِمْ. (١)

وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(١) أسباب نزول القرآن، تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ط: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ٣٢٧/١، ٣٢٨ وانظر لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو

فالمندبر لهذه الآية يجد أنها تضع أسسا وشروطا للاستخلاف في الأرض وهي

١ - الإيمان: والإيمان هو ما وقر في القلب وصدق العمل وينبغي أن يكون الإيمان صادقا خالصا لوجه الله تعالى، ولذلك تبين الآية أنه لا يتحقق الاستخلاف والنصر اللذان يؤديان إلى التمكّن في الأرض، إلا بالإيمان بالله ورسوله وهذا هو أول أمر يرتب الله عليه تحقق النصر والتمكين للأمة في كتابه الكريم، وعندما يذكر - سبحانه وتعالى - الوعد بالتمكين يجعله الشرط الأول والأكبر والأساس، وما سواه من الشروط والأمور فمبنية عليه، فهو الأساس والقاعدة والمنطلق لكل عمل تتقدم به جماعة المؤمنين وهي تسعى إلى النصر والتمكين.... قال - تعالى - في ترتب التمكين على الإيمان به ورسوله قبل كل شيء: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }^(١).

٢ - العمل الصالح: الذي ينبثق عن الإيمان، فعلاقة الصدق في القول والعمل يكون بالإيمان. وينبغي أن نعلم أن كلا من الإيمان والعمل الصالح لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فإيمان بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وعمل بلا إيمان لاقيمة له ولا قبول.

=الفضل، م ٨٤٩/ سنة ت ٩١١، ط، دار إحياء العلوم، مكان النشر بيروت، ، ١٦٠/١
وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول، تأليف: أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي
الوادعي، ط: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة القاهرة ١٤٠٨هـ -
١٩٨٧ م ١٧٠/١

(١) سورة النور الآية ٥٥ وانظر عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، تأليف:
أحمد بن حمدان بن محمد الشيربي ص ٨٤ باختصار

يقول الرازي: " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات أي الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما وأنه يمكن لهم دينهم " (١)

يقول المراغي "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي وعد الله المؤمنين منكم المصلحين لأعمالهم - ليورثتهم أرض المشركين من العرب والعجم، وليجعلنهم ملوكها وساستها، كما استخلف بنى إسرائيل بالشام حين أهلك الجبابرة وجعلهم ملوكها وسكانها." (٢)

ويقول الشوكاني: " وهذا وعد من الله سبحانه لمن آمن بالله وعمل الأعمال الصالحات بالاستخلاف لهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من الأمم وهو وعد يعم جميع الأمة وقيل هو خاص بالصحابة ولا وجه لذلك فإن الإيمان وعمل الصالحات لا يختص بهم بل يمكن وقوع ذلك من كل واحد من هذه الأمة ومن عمل بكتاب الله وسنة رسوله فقد أطاع الله ورسوله " (٣)

ويقول الزحيلي: " فقد وعد الله الذين آمنوا بحق، وعملوا صالح الأعمال أن يستخلفهم في الأرض، واستخلفهم: هو أن يملكهم البلاد، ويجعلهم أهلها، كما

(١) مفاتيح الغيب - تأليف: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن

عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠

م، الطبعة: الأولى، ٢٢/٢٤

(٢) تفسير المراغي ١٢٧/١٨

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد

الشوكاني، سنة الولادة ١١٧٣/ سنة الوفاة ١٢٥٠، تحقيق سيد ابراهيم ط دار الحديث

سنة النشر ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ٤٧/٤

جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب، بدءاً من خلافة الخلفاء الراشدين:
أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لأنهم أهل الإيمان وعمل
الصالحات. (١)

" ويقول د حجازي: " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليجعلنهم
خلفاء الله في أرضه ووعدناهم، وقوله صادق فالله لا يخلف الميعاد وقد
شرط الله ذلك بالإيمان والعمل الصالح فإن تحقق الشرط تحقق المشروط،
والعكس صحيح " (٢)

من خلال ما سبق في الآية الكريمة يتبين لنا أن أهم شروط الاستخلاف في
الأرض الإيمان والعمل الصالح وعلى هذا اتفق جميع المفسرين

٣ - الاختيار والتمحيص والثبات على الحق دون اتباع الهوى: ولذلك
كان أشد الناس بلاء الأنبياء خير من استخلفوا في الأرض ولنا فيهم القدوة
الحسنة فعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً
قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْتَلُ فَالْأَمْتَلُ مِنَ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ
دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خَفَّفَ عَنْهُ وَمَا
يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ " (٣)

(١) التفسير الوسيط ١٧٦٧/٢

(٢) التفسير الواضح، تأليف: الدكتور / محمد محمود حجازي، ط: الزقازيق ٦٩٧/٢

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل تأليف: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون
ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م ٧٨/٣ ح رقم ١٤٨١ وانظر
سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ط:
مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،
٣٧٢/٣ ح رقم ٦٣٢٦

٤ - تهيئة الأجواء وذلك يكون بالبطانة الصالحة والأنصار المخلصين، فإن النجاح الكبير يكون بأعوان من استخلفه الله في الأرض لتحمل الأمانة، حتى يؤديها على أكمل وجه، وعلى المسلم أن ينظر إلى من حوله فسيجد أن نجاح أي حاكم أو خليفة في الأرض متوقف على إيمان وصلاح من حوله، والفشل والفساد والخراب يكون به وبمن حوله فلا بد من اتباع شروط الاستخلاف حتى يصل المستخلف إلى النصر والتمكين، ويكون إماما يهدي بأمر الله، ملتزما بما أمر الله قال تعالى: { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {الأنبياء ٧٣}

"أى أئمة يهدون الناس بأمر الله؛ وأوحى إليهم أن يفعلوا الخيرات على اختلافها، وأن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. وكانوا طائعين لله عابدين.. فنعم العوض، ونعم الجزاء، ونعمت الخاتمة" (١)

ويقول الشوكاني: " { وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا } أى رؤساء يقتدي بهم في الخيرات وأعمال الطاعات ومعنى (بأمرنا) بأمرنا لهم بذلك أي بما أنزلنا عليهم من الوحي { وأوحينا إليهم فعل الخيرات } أى أن يفعلوا الطاعات وقيل المراد بالخيرات شرائع النبوات { وكانوا لنا عابدين } أى كانوا لنا خاصة دون غيرنا مطيعين فاعلين لما نأمرهم به تاركين ما ننهاهم عنه " (٢)

وإلى هذه الشروط التي أشار لها القرآن الكريم في أكثر من آية ليتحقق الاستخلاف في الأرض كما اتضح فيما شارته كما ورد في جريدة المحاجة في عددها ٣٢٩ لعام ٢٠١٠ فنقول: " وهذه الشروط هي: الإيمان، والعمل الصالح، والاختبار والتمحيص، أي تهيئة الأجواء لاحتضان أهل الإيمان وأخيرا النصر

(١) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ط دار الشروق ١٦٤/٥

(٢) فتح القدير ٤١٦/٣

والتمكين. ولذلك فيمكن إجمال شروط الاستخلاف في ما يلي: الأول الإيمان الصادق الخالص لله تعالى وقد وضحه الله في قوله: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} (سورة غافر آية ٥١).

الثاني العمل الصالح المنبثق من هذا الإيمان الراسخ، لأن العمل الصالح هو علامة صدق الإيمان في العقل والقلب {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض} (سورة النور آية ٥٥).

الثالث الاختبار والتمحيص: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب} (سورة البقرة آية ٢١٤).

عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْتَلُ فَالْأَمْتَلُ مِنَ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خَفَّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ^(١)

وعلامة النجاح في الامتحان هو الثبات على الحق دون إبتاع الهوى والشهوات. قال تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله} (سورة الأنعام آية ٣٤). الرابع تهيب الأجر: فلا بد من وجود حاضنة تحتضن أهل الإيمان والتقوى وهذه بداية الجائزة من الله تعالى في الدنيا حيث يُكرم الحق تعالى أوليائه بأنصار مخلصين يحبون أهل

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٧٨/٣

الإيمان ويسيروا في ركابهم، ويصبح الإسلام والاستخلاف في بلادهم رأيا عاما
نابعا من وعي عام بصلاحية الإسلام وحده، والاستخلاف على أساسه.^(١)
من خلال ما سبق يتبين لنا أن استخلاف الإنسان في الأرض لم يكن مطلقا،
وإنما يقصد به إصلاح الأرض وإعمارها، لا بقصد إفسادها وتخریبها، وهذا
ماتضح خلال عرضنا للشروط.

(١) جريدة المحاجة ١٤ أغسطس ٢٠١٠ العدد ٣٢٩

المبحث الخامس

ثمرات الاستخلاف في الأرض

تحقق وعد الله بالنصرة والتمكين: وهذه تعد المرحلة الأخيرة حيث يمن الله تعالى على المؤمنين بأهل القوة والمنعة من أبناء هذه الأمة فينصرون دينه ويمكنون لأهل الإيمان المخلصين. ^(١) واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون {الأنفال ٢٦}. وقال تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} {النور ٥٥}

هذا ولقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمة بالثناء والرفعة وذلك يكون بالنصر والتمكين في الأرض.

يقول ابن كثير: " وقوله: {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}، عَنِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَاَ إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ، فَشَكَاَ قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ « يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ ». قُلْتُ لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ « فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لِّتَرَيْنَ الظُّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ » - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَارُ طَيِّبِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ « وَكَلَّنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لِّتُقْتَحَنَ كُنُوزُ كِسْرَى ». قُلْتُ كِسْرَى بِنِ هُرْمُزَ قَالَ « كِسْرَى بِنِ هُرْمُزَ، وَكَلَّنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لِّتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ

(١) مجلة المحاجة السيت، ١٤ أغسطس، ٢٠١٠ | كلمات مفتاحية: استخلاف | منشور في

ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدَكُمُ
يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ. فَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُنْعِمْ إِلَيْكَ رَسُولًا
فَيُؤَلِّغَكَ فَيَقُولُ بَلَى. فَيَقُولُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ فَيَقُولُ بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ
يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ». قَالَ عَدِيُّ
سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ
لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ». قَالَ عَدِيُّ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ
حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيْمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ
هُرْمُزٍ، وَلَتِنِ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - « يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ »^(١). وقال الإمام أحمد: عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُغِيرَةَ
السَّرَّاجِ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي
الْأَرْضِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ وَهَذَا لَفْظُ
الْمُقَدَّمِيِّ^(٢)

(١) الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي،
الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د.
مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، تعليق د.
مصطفى ديب البغا، ٣/١٣١٦ ح ٣٤٠٠

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون،
الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ٢٥/١٤٦ ح ٢١٢٢٢ وانظر
شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الكتب العلمية -
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ٥/٣٣٤ ح ٦٨٣٣
وانظر تفسير القرآن العظيم تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) المحقق: محمود حسن، ط: دار الفكر الطبعة: الطبعة الجديدة

هذا وإن هناك معالم للتمكين والنصر في الأرض منها:

أهم عامل من عوامل النصر والتمكين كما ذكرت الآية، إقامة الدين.

"وهذا هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبين لنا أن إقامة الدين سبب لحفظ ملك الأمة الإسلامية وعزها وأن الله - سبحانه وتعالى - يمكن به الحاكم المسلم ويؤيده، وأنه لا ينزع الملك منه إلا إذا ترك إقامة الدين، وأن من يتخلى عن إقامة الدين يبعث الله له من يسومه سوء العذاب." (١)

عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكًا مِنْ قَحْطَانَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ فَأَثَّتِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا تُؤَثِّرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَأَوْلَيْكَ جُهَالِكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ النَّبِيَّ تُضِلُّ أَهْلَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « إِنْ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ، لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهَ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ » (٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... أَمَا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ فَإِنَّكُمْ أَهْلُ هَذَا الْأَمْرِ مَا لَمْ تَعْصُوا اللَّهَ فَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعَثَ إِلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَى هَذَا الْقَضِيبُ لِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ لَحَا قَضِيبَهُ فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ يَصِلُهُ (٣)

١٤١٤هـ/١٩٩٤م ٣/٣٦٦، ٣٦٧ وانظر تفسير البيضاوي - تأليف: البيضاوي ط:

دار الفكر - بيروت ٤/١٩٨

(١) المصدر السابق ١٣٣

(٢) صحيح البخاري، المناقب، مناقب قريش ١٢/٢٢٣ ح ٣٥٠٠

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٨٨/٧) ح ٤٣٨٠

كما ينبغي أن نعلم أن "إقامة الدين ليست سبباً في حصول التمكين في الحكم والسلطة والنصر فحسب بل يتعدى بحصولها التمكين حتى يصل إلى التمكين من معاش الأرض بكثرة بركتها وسلامتها من الآفات والكوارث والمكدرات والمنغصات؛ وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه في نزول عيسى ابن مريم وإقامة دين الله في الأرض أكبر شاهد على ذلك. قال رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... وَيَكُونُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يُدِقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتَرْفَعُ الصَّدَقَةَ حَتَّى لَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ، وَتَرْفَعُ الشَّخَنَاءَ وَالتَّبَاغُضُ، وَتَنْزَعُ حُمَةً كُلِّ ذِي حُمَةٍ حَتَّى يَدْخُلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَنْشِ فَلَا يَضُرُّهُ، وَيَلْقَى الْوَلِيدَةَ الْأَسْدَ فَلَا يَضُرُّهُ، وَيَكُونُ فِي الْإِبِلِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَيَكُونُ الذَّنْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتَمَلَأُ الْأَرْضُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَيَسْلُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكُفَّارَ مَلِكَهُمْ، فَلَا يَكُونُ مُلْكٌ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَنَائِثِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا كَمَا كَانَتْ تُنْبِتُ عَلَى عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَجْتَمِعُ النَّفْرُ عَلَى الْقَطْفِ فَيُسْبِعُهُمْ، وَالنَّفْرُ عَلَى الرَّمَانَةِ فَيُنْسِبُهُمْ، وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَيَكُونُ الْفَرَسُ بِالدَّرِيهِمَاتِ" (١) "وسبب كل ذلك الرغد في العيش والبركة وزوال الأخطار حتى من الحيوانات، والتمكين من كل شيء في الأرض هو إقامة الدين في الأرض فقد أقام عيسى ابن مريم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - دين الله في الأرض كلها ولم يبق منها بقعة إلا كانت على الإسلام، فأنعدمت مساحة المعاصي على الأرض التي كانت تكدر العيش، وتقتل الطيور في أوكارها، فرجع ذلك التسخير الذي سخره الله للإنسان في كل شيء في الأرض من قبل،

(١) سنن ابن ماجه تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر - بيروت

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٥٩/٣ ح ٤٠٧٧

وهكذا يحصل دائماً حين يقام الدين على مساحة أكبر من الأرض ولو لم تستوعب الأرض جميعاً فيحصل التمكين وهناءة العيش^(١)

ومن معالم النصر والتمكين العزة، وتقوية الحجة في نفوس اشتراها الله لعباد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله وابتغاء مرضاته.

يقول الشيخ حجازي: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليجعلنهم خلفاء الله في أرضه ووعدناه ناجز، وقوله صادق فالله لا يخلف الميعاد وقد شرط الله ذلك بالإيمان والعمل الصالح فإن تحقق الشرط تحقق المشروط، والعكس صحيح، وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فاستخلف المؤمنين في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، ومكن لهم دينهم، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا. ولا يزال هذا شأن كل أمة مسلمة تؤمن بالله حقاً وتعمل الصالح الذي أمر الله - تعالى - به. ونهى عن غيره، فأقاموا العدل والنظام وحكموا بما أمر الله، وأخذوا الحيطة لأنفسهم كجماعة ودولة.

والتمكين لهم في دينهم بإعزاز جانبه. وإرساء قواعده. وتقوية حجته. حتى يقبلوا عليه بنفوس اشتراها الله ليكون لهم الجنة فيجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم ابتغاء رضوانه.^(٢)

ومن معالم التمكين والنصر: الثبات والاستقرار وتآلف القلوب.

يقول القاسمي: "{ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ } أي: فليجعلن دينهم ثابتاً مقررأ، مرفوع اللواء، ظاهراً على غيره، قاهراً لمن ناوأه.

(١) معالم النصر والتمكين ص ١٤٠

(٢) التفسير الواضح ٦٩٦/٢، ٦٩٧

قال أبو السعود: وفي إضافة الدين إليهم. وهو دين الإسلام، ثم وصفه
بارتضائه لهم، تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه، وفضل تثبيت عليه: "(١)"

يقول الرازي " وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ويبدلهم
من بعد خوفهم من العدو أمناً بأن ينصرهم عليهم فيقتلوهم ويأمنوا بذلك شرهم
فيعبدونني آمنين لا يشركون بي شيئاً ولا يخافون ومَن كَفَرَ أَي من بعد هذا
الوعد وارتد فأولئك هُمُ الْفَاسِقُونَ.... أما قوله تعالى وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ فالمعنى أنه يثبت لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام وقرأ ابن
كثير وعاصم ويعقوب "(٢)"

يقول الشنقيطي: " {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}. هذا الدين الذي
ارتضاه لهم هو دين الإسلام بدليل قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]، وقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ
عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى في
هذه الآية الكريمة: {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ} [النور: ٥٥]، قال الزمخشري: تمكينه
هو تثبيته وتوطيده. "(٣)"

ومن معالم تمكين الدين والنصر في الأرض: اظهاره على جميع الأديان
يقول الزحيلي: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ خَطَاب
لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأُمَّةَ لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ لِيَجْعَلَنَّهُمْ خُلَفَاءَ
مُتَصَرِّفِينَ فِي الْأَرْضِ تَصْرِفَ الْمُلُوكِ فِي مَمَالِكِهِمْ كَمَا اسْتَخْلَفَ مَبْنِي لِلْمَعْلُومِ،

(١) محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي ٢٤٢/٢

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٤/٢٤

(٣) أضواء البيان ٤٥٤/٥

وقرئ مبنيا للمجهول الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من بني إسرائيل في مصر وفلسطين بدلا
عن الجبابرة: فرعون وأمثاله

وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت وإظهاره
على جميع الأديان، فالتمكين: هو جعل هذا الدين ممكنا في الأرض بتثبيت
قواعده وإعزاز جانبه " (١).

ومن معالم التمكين والنصر، انتشار الدين بين الأمم والشعوب، والقبائل،
ليرسخ في النفوس، ويثبت في قلوبهم وذلك يتم بالإيمان والعمل الصالح.

يقول ابن عاشور: " وتمكين الدين: انتشاره في القبائل والأمم وكثرة
متبعيه. استعير التمكين الذي حقيقته التثبيت والترسيخ لمعنى الشروع والانتشار
لأنه إذا انتشر لم يخش عليه الانعدام فكان كالشيء المثبت المرسخ، وإذا كان
متبعوه في قلة كان كالشيء المضطرب المتزلزل. وهذا الوعد هو الذي أشار
إليه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة منها حديث الحديبية إذ جاء
فيه قوله: «وإن هم أبوا (أي إلا القتال) فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري
هذا حتى تنفرد سالفتي (أي ينفصل مقدم العنق عن الجسد) ولينفذن الله
أمره». وقوله: لهم مقتضى الظاهر فيه أن يكون بعد قوله: دينهم لأن المجرور
بالحرف أضعف تعلقا من مفعول الفعل، فقدم لهم عليه للإيماء إلى العناية بهم،
أي يكون التمكين لأجلهم، كتقديم المجرور على المفعولين في قوله: ألم نشرح
لك صدرك ووضعنا عنك وزرك [الشرح: ١، ٢]. وإضافة الدين إلى ضميرهم
لتشريفهم به لأنه دين الله كما دل عليه قوله عقبه: الذي ارتضى لهم، أي الذي
اختاره ليكون دينهم، فيقتضي ذلك أنه اختارهم أيضا ليكونوا أتباع هذا الدين.

(١) انظر التفسير المنير ٢٨١/١٨

وفيه إشارة إلى أن الموصوفين بهذه الصلة هم الذين ينشرون هذا الدين في الأمم لأنه دينهم فيكون تمكنه في الناس بواسطتهم. (١)

ومن معالم التمكين والنصر: مواصلة الليل بالنهار لرد كيد الأعداء في نحورهم، ليظل الدين قويا راسخا ثابتا في نفوس أهله.

يقول المراغي " وقد وفي سبحانه بوعده، فإنه لم يمت عليه الصلاة والسلام حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، والمقوقس في مصر، والنجاشي ملك الحبشة.

ولما قبض صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى قام بالأمر من بعده الخلفاء الراشدون، فنهجوا منهجه، وافتتحوا كثيرا من المشرق والمغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة، وملكوا خزائنهم، واستعبدوا أبناء القياصرة، وصدق

قول رسوله « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها ». (وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) أي وليجعلن دين الإسلام راسخا قويا ثابت القدم، ويعظم أهله في نفوس أعدائه الذين يواصلون الليل بالنهار في التدبير لإطفاء أنواره، لتعفو آثاره.. (٢)

ومن معالم التمكين والنصر في الأرض: حفظ الدين من التبديل والتغيير، وعدم نسخ أحكامه إلى يوم القيامة.

يقول ابو العباس: " والمعنى: ليجعل دينهم ثابتاً متمكناً مقررأ لا يتبدل ولا يتغير، ولا تنسخ أحكامه إلى يوم القيامة. ثم وصف بقوله: {الذي ارتضى لهم}،

(١) التحرير والتنوير ٢٨٧/١٨

(٢) تفسير المراغي، ١٨ / ١٢٧، ١٢٨

وهو دين الإسلام، وصفه بالارتضاء؛ تأليفاً ومزيداً ترغيب فيه وفضلً تثبيت عليه..^(١)

يقول الجزائري: "وليمكنن لهم دينهم: أي بأن يظهر الإسلام على سائر الأديان ويحفظه من الزوال. ره على الدين كله ويحفظه من التغيير والتبديل والزوال إلى قرب الساعة"^(٢)

ومن ثمرات الاستخلاف في الأرض: تحقق و عد الله بالحياة الآمنة: قال تعالى: {وليبذلنهم من بعد خوفهم أمناً}

لأن الأساس في الاستخلاف استخلاف الأمناء الأخيار الذين يقومون بنشر قيم الخير والعدل والأمن فلا تستقيم الحياة إلا بذلك^(٣)

يقول القاسمي: { وَلَيَبْدَلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ } أي: بعد هذا الوعد الكريم الموجب لتحصيل ما تضمنه

(١) البحر المديد ٩٤/٤، ٩٥

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير تأليف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ٣/٥٨٥، ٥٨٦ وانظر فسير ابن أبي حاتم — تأليف: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط: المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب ٢٦٣٩/٨ وانظر تفسير ابن زمينين تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمينين سنة الولادة ٣٢٤هـ/ سنة الوفاة ٣٩٩هـ تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط الفاروق الحديثة سنة النشر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مكان النشر مصر/ القاهرة ٢٤٢/٣

(٣) المحاجة السبت، ١٤ أغسطس، ٢٠١٠ | كلمات مفتاحية: استخلاف | منشور في العدد

من السعادتَيْن: { فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } أي: الكاملون في فسقهم. حيث كفروا
تلك النعمة العظيمة. وجسروا على غمطها.^(١)

ومن مظاهر الحياة الآمنة النصر على الأعداء.

يقول الزحيلي: وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا أَي وليجعلنهم بعد الخوف
من الكفار في حالة أمن وسلام، وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر، فكان رسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في مكة عشر سنين خائفين، ثم هاجروا إلى
المدينة، وبقوا مستتفرين في السلاح صباح مساء، حتى أنجز الله وعده، فغلبهم
على العرب كلهم، وفتح لهم بلاد الشرق والغرب. وفيه دليل على صحة النبوة
بالإخبار عن الغيب على ما هو به، وعلى صحة خلافة الراشدين..^(٢)

وينبغي أن نعلم أن الأمن والأمان من أعظم النعم التي تنتج عن الاستخلاف في
الأرض.

يقول ابن عاشور: وإنما قال: وليبدلنهم من بعد خوفهم أمانا ولم يقل:
وليؤمننهم، كما قال في سابقه لأنهم ما كانوا يطمحون يومئذ إلا إلى الأمن، كما
ورد في حديث أبي العالية المتقدم أنفا، فكانوا في حالة هي ضد الأمن ولو
أعطوا الأمن دون أن يكونوا في حالة خوف لكان الأمن منة واحدة. وإضافة
الخوف إلى ضميرهم للإشارة إلى أنه خوف معروف مقرر. وتكثير أمانا للتعظيم
بقرينة كونه مبدلا من بعد خوفهم المعروف بالشدة. والمقصود: الأمن من
أعدائهم المشركين والمنافقين. وفيه بشارة بأن الله مزيل الشرك والنفاق من
الأمّة. وليس هذا الوعد بمقتض أن لا تحدث حوادث خوف في الأمّة في بعض
الأقطار كالخوف الذي اعترى أهل المدينة من ثورة أهل مصر الذين قادهم

(١) محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي ٢٤٣/٢

(٢) انظر التفسير المنير ٢٨١/١٨

الضال مالك الأشر النخعي، ومثل الخوف الذي حدث في المدينة يوم الحرة وغير ذلك من الحوادث وإنما كانت تلك مسببات عن أسباب بشرية وإلى الله إياهم وعلى الله حسابهم. وقرأ الجمهور: وليبدلنهم بفتح الموحدة وتشديد الدال. وقرأه ابن كثير وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بسكون الموحدة وتخفيف الدال والمعنى واحد. (١)

يقول المراغي " (وَلْيَبْدَلَنَّهْمُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) أي وليغيرن حالهم من الخوف إلى الأمن، قال الربيع من أنس: « كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحو من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد بالهجرة إلى المدينة فقدموها، فأمرهم الله بالقتال، فكانوا بها خائفين، يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح، فصبروا على ذلك ما شاء الله، ثم إن رجلا من الصحابة قال يا رسول الله: أيد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تصبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس فيه حديدة، فأنزل الله « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا » إلى آخر الآية، ونحو الآية قوله: « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ».. (٢)

كما ينبغي أن نعلم أنه لا يتحقق الأمن والأمان، إلا بالإيمان واليقين والثبات والمداومة على العمل الصالح.

(١) التحرير والتنوير ٢٨٧/١٨

(٢) تفسير المراغي، ج ١٨، ص: ١٢٧، ١٢٨

يقول الشيخ حجازي: " وَ لِيُبَيِّنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا اعلم يا أخی أن المؤمنین بالله في كل عصر وزمن قلة بالنسبة لغيرهم فيريد الله أن يقلع جذور الخوف من قلوبهم. ويملؤها. إيماناً ويقيناً وثباتاً بنصر الله ومعونته وتأييده ودفاعه عنهم. ليعلموا أن النصر والنهاية الحسنة لهم ما داموا مؤمنين عاملين. عابدين حقاً لا يشركون به شيئاً. والإشراك بالله باب واسع يشمل الشرك في العقيدة كالمشركين والوثنيين، ويشمل الشرك في العمل كالمرائين والمتكبرين والمعجبين. و لقد وعد الله المؤمنین أن يخلفهم في الأرض وأن يمكن لهم في دينهم وأن يبذل خوفهم أمناً إذا آمنوا إيماناً عميقاً. وعملوا عملاً وثيقاً. و عبدوا الله عبادة خالصة يتحقق فيها قوله تعالى. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.

ومن كفر بعد ذلك البيان الكامل الذي ينير الطريق. فأولئك هم الفاسقون الخارجون عن حدود الدين الصحيح وفي هذا تهديد ووعد.^(١)

يقول ابن عجيبة: " {وَلِيُبَيِّنَهُمْ} بالتشديد والتخفيف من الإبدال، {من بعد خوفهم} من الأعداء {أمناً}. نزلت حيث كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين، أو أكثر، خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يُصْبِحُونَ في السلاح ويُمسُونَ فيه، حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع السلاح، فلما نزلت، قال عليه الصلاة والسلام: " لا تصبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم، مُحْتَبِياً، ليس معه حديدة "، فأنجز الله وعده، فأمنوا، وأظهرهم على جزيرة العرب، وفتح لهم بلاد المشرق والمغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة، وملكوا خزائنهم، واستولوا على الدنيا بحدافيرها. وفيه من الإخبار بالغيب ما لا يخفى. وقيل: الخوف والأمن في الآخرة..^(٢)

(١) التفسير الواضح ٢/٦٩٦، ٦٩٧

(٢) البحر المنيد ٤/٩٤، ٩٥

الضال مالك الأشر النخعي، ومثل الخوف الذي حدث في المدينة يوم الحرة وغير ذلك من الحوادث وإنما كانت تلك مسببات عن أسباب بشرية وإلى الله إياهم وعلى الله حسابهم. وقرأ الجمهور: وليبدلنهم بفتح الموحدة وتشديد الدال. وقرأه ابن كثير وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بسكون الموحدة وتخفيف الدال والمعنى واحد. (١)

يقول المراغي " (وَلْيَبْدَلَنَّهْمُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) أي وليغيرن حالهم من الخوف إلى الأمن، قال الربيع من أنس: « كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد بالهجرة إلى المدينة فقدموها، فأمرهم الله بالقتال، فكانوا بها خائفين، يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح، فصبروا على ذلك ما شاء الله، ثم إن رجلاً من الصحابة قال يا رسول الله: أبرد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس فيه حديدة، فأنزل الله « وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا » إلى آخر الآية، ونحو الآية قوله: « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ».. (٢)

كما ينبغي أن نعلم أنه لا يتحقق الأمن والأمان، إلا بالإيمان واليقين والثبات والمداومة على العمل الصالح.

(١) التحرير والتنوير ٢٨٧/١٨

(٢) تفسير المراغي، ج ١٨، ص: ١٢٧، ١٢٨

يقول الشيخ حجازي: " وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا اعلم يا أخى أن المؤمنين بالله في كل عصر وزمن قلة بالنسبة لغيرهم فيريد الله أن يقلع جذور الخوف من قلوبهم. ويملؤها. إيماناً ويقينا وثباتاً بنصر الله ومعونته وتأييده ودفاعه عنهم. ليعلموا أن النصر والنهاية الحسنة لهم ما داموا مؤمنين عاملين. عابدين حقا لا يشركون به شيئا. والإشراك بالله باب واسع يشمل الشرك في العقيدة كالمشركين والوثنيين، ويشمل الشرك في العمل كالمرائين والمتكبرين والمعجبين. و لقد وعد الله المؤمنين أن يخلفهم في الأرض وأن يمكن لهم في دينهم وأن يبدل خوفهم أمنا إذا آمنوا إيمانا عميقا. وعملوا عملا وثيقا. وعبدوا الله عبادة خالصة يتحقق فيها قوله تعالى. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.

ومن كفر بعد ذلك البيان الكامل الذي ينير الطريق. فأولئك هم الفاسقون الخارجون عن حدود الدين الصحيح وفي هذا تهديد ووعد.^(١)

يقول ابن عجيبة: " {وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ} بالتشديد والتخفيف من الإبدال، {من بعد خوفهم} من الأعداء {أمنا}. نزلت حيث كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين، أو أكثر، خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يُصْبِحُونَ فِي السِّلَاحِ وَيُمْسُونَ فِيهِ، حَتَّى قَالَ رَجُلٌ: مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمَ نَأْمَنُ فِيهِ، وَنَضَعُ السِّلَاحَ، فَلَمَّا نَزَلَتْ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " لَا تَصْبِرُونَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ، مُحْتَبِيًّا، لَيْسَ مَعَهُ حَدِيدَةٌ "، فَأَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ، فَأَمِنُوا، وَأَظْهَرَهُمْ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَفَتَحَ لَهُمْ بِلَادَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَزَقُوا مَلِكَ الْأَكَاْسِرَةِ، وَمَلَكُوا خَزَائِنَهُمْ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى الدُّنْيَا بِحَذَائِفِرِهَا. وَفِيهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ مَا لَا يَخْفَى. وَقِيلَ: الْخَوْفُ وَالْأَمْنُ فِي الْآخِرَةِ..^(٢)

(١) التفسير الواضح ٢/٦٩٦، ٦٩٧

(٢) البحر المديد ٤/٩٤، ٩٥

يقول الجزائري: "وليبذلنهم من ا بعد خوفهم أمناً" إذ نزلت هذه الآية والمسلمون خائفون بالمدينة لا يقدر أحدهم أن ينام وسيفه بعيد عنه من شدة الخوف من الكافرين والمنافقين وتآلب الأحزاب عليهم ولقد أنجز تعالى لهم ما وعدهم فاستخلفهم وأمكن لهم وبدلهم بعد خوفهم أمناً فله الحمد والمنة. (١)

التمكين والنصر لا يتحققان إلا بالعبادة لله وحده. قال تعالى: { يعبدونني لا يشركون بي شيئاً } قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة عن أنس، أن معاذ بن جبل حدثه قال: بينا أنا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، قال: "يا معاذ"، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل"، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. [ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل"، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك]. قال: "هل تدري ما حق الله على العباد؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "[فإن] حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً". قال: ثم سار ساعة. ثم قال: "يا معاذ بن جبل"، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: "فهل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟"، قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق العباد على الله أن لا يعذبهم". أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة. (٢)

ويقول الزحيلي: "يَعْبُدُونَنِي حال من الَّذِينَ لَتَقْيِيدِ الوعد بالثبات على التوحيد، أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والأمن لا يُشْرِكُونَ بي شيئاً حال من واو يَعْبُدُونَنِي أي يعبدونني غير مشركين وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أي ومن ارتد، أو كفر هذه النعمة بعد الوعد أو حصول الخلافة فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات، أو كفروا تلك

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢٦٣٩/٨ وانظر تفسير ابن زمينين ٢٤٢/٣

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/٣٦٧ وانظر تفسير البيضاوي - تأليف: البيضاوي ط: دار الفكر - بيروت ١٩٨/٤

النعمة العظيمة. وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه، فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.^(١)

ومن المعلوم أنه لا يتحقق أمن ولا أمان ولا نصر ولا تمكين إلا بالإخلاص في العبادة، وأن تكون لله وحده، الواحد الأحد الفرد الصمد.

يقول ابن عاشور: "جملة: يعبدونني حال من ضمائر الغيبة المتقدمة، أي هذا الوعد جرى في حال عبادتهم إياي. وفي هذه الحال إيذان بأن ذلك الوعد جزاء لهم، أي وعدتهم هذا الوعد الشامل لهم والباقي في خلفهم لأنهم يعبدونني عبادة خالصة عن الإشراك.

وعبر بالمضارع لإفادة استمرارهم على ذلك تعريضا بالمنافقين إذ كانوا يؤمنون ثم ينقلبون. وجملة: لا يشركون بي شيئا حال من ضمير الرفع في يعبدونني تقييدا للعبادة بهذه الحالة لأن المشركين قد يعبدون الله ولكنهم يشركون معه غيره. وفي هاتين الجملتين ما يؤيد ما قدمناه آنفا من كون الإيمان هو الشريطة في كفالة الله للأمة هذا الوعد. وجملة: ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون تحذير بعد البشارة على عادة القرآن في تعقيب البشارة بالندارة والعكس دفعا للاتكال.

والإشارة في قوله: بعد ذلك إلى الإيمان المعبر عنه هنا ب يعبدونني لا يشركون بي شيئا والمعبر عنه في أول الآيات بقوله: وعد الله الذين آمنوا، أي ومن كفر بعد الإيمان وما حصل له من البشارة عليه فهم الفاسقون عن الحق.^(٢)

ويقول المراغي: "ثم أتبع ذلك بتعليل التمكين وما بعده بقوله: (يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) أي يعبدونني غير خائفين أحدا غيري:

(١) التفسير المنير ٢٨١/١٨

(٢) التحرير والتنوير ٢٨٢/١٨

(وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) أي ومن جحد هذه النعم فأولئك

هم الذين أنكروا فضل المنعم بها، وتناسوا جليل خطرها. (١)

ويقول الرازي: "أما قوله يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ففيه دلالة على

أن الذين عناهم لا يتغيرون عن عبادة الله تعالى إلى الشرك وقال الزجاج يجوز

أن يكون في موضع الحال على معنى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

الصالحات في حال عبادتهم وإخلاصهم لله ليفعلن بهم كيت وكيت ويجوز أن

يكون استئنافاً على طريق الثناء عليهم" (٢)

ويقول ابن عجيبة: "ثم مدحهم بالإخلاص فقال: {يعبدونني} وحدي، {لا

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً} أي: حال كونهم موحدين غير مشركين بي شيئاً من الأشياء،

شركاً جلياً ولا خفياً؛ لرسوخ محبتهم، فلا يُحبون معه غيره، {ومن كفر بعد

ذلك} أي: بعد الوعد الكريم، كفران النعمة، أو الرجوع عن الإيمان، كما فعل

أهل الردة، {فأولئك هم الفاسقون}؛ الكاملون في الفسق، حيث كفروا تلك النعمة

بعد ظهور عزها وأنوارها، قيل: أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله

عنه؛ فاقتتلوا بعد ما كانوا إخواناً. (٣)

يقول الجزائري: " وقوله: {يعبدونني لا يشركون بي شيئاً} هذا ثناء

عليهم، وتعليل لما وهبهم وأعطاهم يعبدونه لا يشركون به شيئاً وقد فعلوا

(١) تفسير المراغي، ١٨ / ١٢٧، ١٢٨

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٤/٢٤

(٣) البحر المديد ٩٤/٤، ٩٥

وما زال بقاياهم من الصالحين إلى اليوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً
اللهم اجعلنا منهم. (١)

التمكُّن لا يتحقق إلا بالعبادة الجماعية

قد يوجد أناس يعبدون الله لا يشركون به شيئاً، ويقومون الصلاة ويوتون
الزكاة، أي أنهم في الظاهر يحققون جميع شروط الاستخلاف ثم لا يكون
التمكين. فهل هذا مناقض لوعد الله سبحانه؟ طبعاً لا. فالله لا يخلف وعده غير
أن العبادة عبادتان:

- عبادة فردية: تحقق للفرد السعادة في الدارين ولكنها لا تكون سبباً
ومقدمة كافية للاستخلاف في الأرض. وهذا محط أنظار جل المسلمين في
الشرق والغرب.

- عبادة جماعية: وهي التي تحقق السعادة للأمة في الدنيا بالتمكين لها،
وفي الأخرى برضى الله عنها، وهي طبعاً مكتملة للعبادة الفردية لا منفصلة
عنها. وللأسف جل المسلمين اليوم يغفلون هذا النوع من العبادة وهي ذاتها سبب
الجهاد، والضرب في الأرض، والتخطيط والوحدة. والأكثر أسفاً أن العديد من
الناس الذين يتعاملون مع القرآن الكريم ومع سنة المصطفى عليه الصلاة
والسلام تعاملوا مجزئاً، لا يفرقون بين عبادة وعبادة، بل إنهم أحياناً يلغون
العبادة الجماعية ويركزون على العبادة الفردية فقط وهذا سبب من أسباب
الخذلان حتى وإن لم يشعروا، ويقينا لم يكن المصطفى عليه الصلاة والسلام
كذلك ولا الصحابة الكرام ولا العلماء الراسخين في العلم عبر العصور.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٥٨٥/٣، ٥٨٦ وانظر تفسير ابن أبي حاتم - تأليف:

الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط: المكتبة العصرية -

صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب ٢٦٣٩/٨ وانظر تفسير ابن أبي زيمين ٢٤٢/٣

ولا يتحقق الاستخلاف إلا بالتمكن التام من الاقتصاد، ملكا، وإنتاجا، وتصنيعا، وتوزيعا عادلا، وتنمية علمية شاملة، يشارك فيها كل أفراد الأمة وفق تخطيط محكم هادف، فالقوة العلمية والمالية إحدى مرتكزات الاستخلاف. وهذا ما يمكن أن يُسمّى استخلافا اقتصاديا.

أما المرتكز الثاني للاستخلاف، فهو الاستخلاف السياسي، أي إسناد السيادة والسلطة المطلقة لله وحده، فلا تصرف في أي شيء إلا وفق ما شرعه الله تعالى.

وهل يمكن للمسلمين أن يُستخلفوا اقتصاديا وسياسيا بدون عبادة جماعية؟! ذلك هو السؤال!! وذلك هو ميدان العمل الدعوي الذي يجب أن يجتهد في تحقيقه على كل صعيد، وبحكمة وعمق فهم وكمال تجرّد وإخلاص.^(١)

هل ظهور الكفار تمكن أم تقلب؟

وتدفعنا الآية الكريمة إلى سؤال محير هو: هل الفاسق والكافر لا يُمكن لهما في الأرض؟ وماذا عن دول أمريكا، وروسيا والصين في عصرنا، وعن الروم والفرس والفراعنة في الأقدمين؟ ألم يُمكن لهم؟. أليست أمريكا واليهود سادة العالم يضعون ما يشاؤون يأمرون ولا يؤمرون؟

الإجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى تأمل دقيق للآية الكريمة فهذه الأخيرة تخص التمكين للذين آمنوا إذا آمنوا، وتنزع التمكين عنهم إذا فسقوا وكفروا، والخطاب موجه لهم خاصة دون البشرية.

(١) المحاجة السبت، ١٤ أغسطس، ٢٠١٠ | كلمات مفتاحية: استخلاف | منشور في العدد

والذي يرجح هذا المعنى هو ان الكفار في القرآن، لا يعبر عن ظهورهم بألفاظ التمكين والاستخلاف، ولكن يعبر عنه بألفاظ ودلالات أخرى منها قوله تعالى في آل عمران: {لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد}{آل عمران}.

ويجب ملاحظة التقابل بين لفظ "التقلب" في البلاد في هذه الآية ولفظ الاستخلاف والتمكين في الأرض في آية النور. وكان العمارة الحقيقية المكتملة حضارتها الشاملة الكونية لا يمكن ألا أن تكون بروح "الإيمان" والعبادة "وعدم الإشراك" أما عداها فمجرد تقلب في البلاد مهما كثر عددها، أو طال أمدها.. واللافت للانتباه هو أن الله تعالى في آية النور وبعد آيتين رفع عنا حرج السؤال المحير الذي طرحته أنفا، وهو يعلم أنه سيحيرنا، وهو يعلم أن دولا مشركة وكافرة ستظهر في الأرض وستتقلب فيها فقال جل من قائل: {لاتحسين الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير}.^(١)

(١) السبت، ١٤ أغسطس، ٢٠١٠ | كلمات مفتاحية: استخلاف | منشور في العدد ٣٣٩ |

والخلاصة:

من خلال ما سبق نجد أنه لا يتحقق وعد الله بالنصر والتمكين، ولا يتحقق الأمن والأمان، ولا الإخلاص في العبادة إلا بأربعة أمور:

(أ) وجود الجماعة المؤمنة وتحقق الإيمان فيها.

(ب) عمل الصالحات: من القيام بشرائع الدين وتنفيذ أوامر الله عملاً وليس ادعاءً فقط.

(ج) التزام نهج الصحابة، لقوله: ((منكم)) فالخطاب لهم وينسحب على من نهج نهجهم.

(د) انتفاء الشرك في العبادة: { يَعْْبُدُونَنِي لَأَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا }.

٢- قال - سبحانه وتعالى - : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّصِرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }. وهنا علق الله - سبحانه وتعالى - نصره للمؤمنين بقيامهم بنصرة دينه - سبحانه - .^(١)

سبب عدم تحقق الاستخلاف الذي أراده الله في الأرض

إن من أعظم الأسباب "ترك إقامة الدين أو التخلف والتقهر عنها فإن الله - سبحانه وتعالى - يعاقب تلك الأمة المسلمة التي تنكرت لدينها باللباسها لباس الجوع والخوف، وتتكيد عيشها، وتل عروش ملكها، وينزل - سبحانه وتعالى - بها من أليم عقابه وشدة بأسه ما لا ينزله بالدول الكافرة ابتداءً، وذلك أن هذه الدولة المسلمة عرفت ثم أنكرت وآمنت ثم كفرت، ووصلت إلى الأمن والعز

(١) عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، تأليف: أحمد بن حمدان بن محمد الشهري، ص ٤٨

والرغد بدين الله وطاعتها لله ثم جحدت بعد ذلك؛ فيذيقها الله بذلك ما لا يذيق الكافرين " (١).

وهذا القرآن يبين لنا حال الدولة التي تنكرت للدين وإقامته ومدى تأثير ذلك عليها قال - تعالى - : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } . سورة النحل ١١٢ وقال - تعالى - : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } . سورة الأنفال ٥٣

(١) عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، تأليف: أحمد بن حمدان بن محمد

الخاتمة

لقد انتهيت من هذا البحث المتواضع الذي طرقت بابه دون أن أعرف عنه شيء وظللت فترة طويلة أفكر فيه و لا أدري كيف أبدأ، فمن الله عز وجل علي، فهداني للكتابة فيه ، وأتضح لي من خلال قراءتي و تصفحي، أنه موضوع طيب و جديد ، و قد اجتهدت فيه قدر الإمكان محاولاً جمع كل ما يتعلق به من بطون الكتب ، فبحثت عن كل ما له علاقة به ، من مراجع في التفسير و علوم القرآن، وغيرها.

وقد استخلصت ما يلي:

أنه ينبغي على الإنسان أن يفرق بين استخلاف العبد لله واستخلاف العبد للعبد.
أن استخلاف الإنسان في الأرض ليس نيابة عن الله، وليس عن غيبة المستخلف.
أن الاستخلاف قسمان، استخلاف خاص بالأنبياء، واستخلاف عام لغيرهم من الناس.

أن الإيمان والعمل الصالح من أهم شروط الاستخلاف.

أن من ثمرات الاستخلاف تحقيق وعد الله بالنصر والتمكين، والأمن والأمان، وإخلاص العبادة له سبحانه.

و أخيراً أود أن أوصي بعض الباحثين بطرق هذا البحث مرة ثانية لأنه جدير بالدراسة والبحث. و هناك العديد من الآيات القرآنية التي نتحدث عن الاستخلاف تصلح لأن تكون رسالة ماجستير أو دكتوراه لأن هناك العديد من الآيات التي لم أتعرض لها وقد ذكرها المفسرون و بينوا ما فيها.

هذا و إن كنت وفقت أو أصبت فمن الله { إن أريدُ إلاَّ الإصلاحَ ما
استطعتُ وما توفيقِي إلاَّ باللهِ عليه توكَّلتُ وإليه أنيبُ } هو د ٨٨، وإن أخطأت
فمني ومن الشيطان و الله و رسوله من ذلك براء.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

أولا القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر والمراجع الأخرى

١. أسباب نزول القرآن، تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٢. الاستخلاف مفهومه وشروطه وثمراته، بقلم: جريدة المحجة، السبت، ١٤ أغسطس، ٢٠١٠ | كلمات مفتاحية: استخلاف | منشور في العدد: ٣٣٩ |
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) ط: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٤. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير تأليف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٥. البحر المديد - تأليف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبه الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي ابن عجيبه ط / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ

٦. تاج العروس من جواهر القاموس تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين ط دار الهداية.

٧. تاج اللغة وصحاح العربية تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٨. التحرير والتنوير - الطبعة التونسية تأليف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

٩. تفسير ابن أبي حاتم - تأليف: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط: المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

١٠. تفسير أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زئيم سنة الولادة ٣٢٤هـ / سنة الوفاة ٣٩٩هـ تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط الفاروق الحديثة سنة النشر ١٤٢٣هـ - - ٢٠٠٢ م مكان النشر مصر / القاهرة.

١١. تفسير البحر المحيط - تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ط: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق (١) د. زكريا عبد المجيد النوقي د. أحمد النجولي الجمل

١٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) تأليف: محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.

١٣. تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ) المحقق: محمود حسن، ط: دار الفكر الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٤. تفسير المراغي تأليف: الشيخ / أحمد مصطفى المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، تأليف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ
١٦. التفسير الميسر، تأليف: مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
١٧. التفسير الواضح، تأليف: الدكتور / محمد محمود حجازي، ط: الزقازيق.
١٨. التفسير الوسيط للزحيلي، تأليف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
١٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم تأليف: د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر) السابق، ط: دار الفجالة - بدون
٢٠. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تأليف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت.
٢١. الجامع لأحكام القرآن تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)

- المحقق: هشام سمير البخاري، ط: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
٢٢. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، سنة الولادة / سنة الوفاة ٩١١، تحقيق، الناشر دار الفكر، سنة النشر ١٩٩٣، مكان النشر بيروت.
٢٣. سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ط: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
٢٤. شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٢٥. صحيح البخاري الكتاب: الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ط: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.
٢٦. الصحيح المسند من أسباب النزول، تأليف: أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، ط: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٧. ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ط دار الشروق، القاهرة بدون.
٢٨. عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، تأليف: أحمد بن حمدان بن محمد الشهري

٢٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، سنة الولادة ١١٧٣ / سنة الوفاة ١٢٥٠، تحقيق سيد ابراهيم ط دار الحديث سنة النشر ١٤٢٣هـ.

٣٠. الفروق اللغوية أبو هلال العسكري بدون.

٣١. كتاب الكليات - لأبي البقاء الكفوي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

٣٢. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي .

٣٣. لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، سنة الولادة ٨٤٩ / سنة الوفاة ٩١١، ط، دار إحياء العلوم، مكان النشر بيروت.

٣٤. محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي

٣٥. المحكم والمحيط الأعظم تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي سنة الولادة / سنة الوفاة ٤٥٨هـ تحقيق عبد الحميد هندراوي الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ٢٠٠٠م مكان النشر بيروت

٣٦. مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت ٧٢١ تحقيق محمود خاطر، ط مكتبة لبنان ١٤١٥ - ١٩٩٥ مكان النشر

بيروت

٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل تأليف: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٣٨. المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية
٣٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تأليف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٤٠. المعجم الوسيط - تأليف / إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر محمد النجار ط: دار الدعوة تحقيق / مجمع اللغة العربية
٤١. معجم مقاييس اللغة تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٢. مفاتيح الغيب - تأليف: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.